اللهجات في الدراسات
اللغوية العربية

د. أيثار شوقي سعدون
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

إنّ المطلع على تاريخ العربية في حقب ما قبل الإسلام يجد اتساعاً وشمولاً للهيكل اللغوي الذي يتضمنها ، متمثلاً بوجود فوارق لغوية بين جماعة وأخرى وهو ما يسمى اليوم باللهجات .

وهنا يجب ملاحظة أمرين ، **الأول** : إن تلك الفوارق لم تكن في جوهر اللغة وأصولها ، وإنما كانت في شكلها الخارجي وفروعها ، كالاختلاف في معاني بعض المفردات اللغوية أو بعض الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية . وعدا ذلك فهناك انسجام بين أفراد المجتمع اللغوي العربي واشتراك فرضته طبيعة النظام القبلي والبيئة الصحراوية إذ المشاهدات نفسها . **الثاني** : أن تلك اللهجات قد أغنت الدراسة اللغوية قديماً وحديثاً بمادة وفرة أسهمت في تتبع التطور اللغوي للعربية .

وعلى الرغم من أن المؤلفات اللغوية بشكل عام والنحوية بشكل خاص عنيت بتسجيل قواعد لهجة واحدة هي لهجة قريش وما عداها شاذاً أو ضعيفاً في المراحل اللاحقة ، إلا أن فيها مادة لا يستهان بها من الدراسات اللهجية المختلفة التي تساعد في :-

١- فهم طبيعة اللغة ، ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها ، والكشف عن تأثير البيئة فيها .
٢- إن علماء اللغة المحدثين يجدون في اللهجات مبادئ التطور الصوتي والصرفي وبناء الجملة والمستوى الدلالي فيها .
٣- إن دراسة اللهجات تشكل باباً مهماً من أبواب الدراسة اللغوية .

العلم الذي يدرس اللهجات :-

إن الخصائص اللغوية في لغة ما تختلف في اللغة نفسها من مكان الى آخر تبعاً لأختلاف توزيع تلك الخصائص على الخريطة الجغرافية اللغوية [١] . وعلى هذا الأساس أستحدث علم (الجغرافية اللغوية) أو (علم دراسة اللهجات) الذي يعد من أكثر جوانب علم اللغة الحديث حيوية وقيمة .

والجغرافية اللغوية Linguistic Grogrphy

أو علم اللهجات Dialectogy

" فرع من فروع علم اللغة يعنى بتحليل ووصف التنوعات المحلية أو الاجتماعية أو الزمنية للغة معينة ، مبيناً كيف تختلف هذه التنوعات في النطق أو القواعد الصرفية أو النحوية ، أو في المعجم ، وكيف تتوزع هذه التنوعات الجغرافية " [٢] .

أما علم اللغة الجغرافي :- " فهو علم يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات في مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية ، ويدرس كذلك طرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض وكيفية تأثير العامل اللغوي على تطور الثقافة والفكر الوطنيين " [٣] .

فمن الواضح أن الفرق بين العلمين يكمن في كون الأول خاصاً بلغة واحدة فيها لهجات محلية تطورت بشكل مستقل بعضها عن بعض ، لكل منها نظام وأبنية لا تقل أهمية وتميزاً عما يسمى باللغة الفصحى . إذ يرى بعض اللغويين المحدثين أن اللغة الفصحى ما هي إلا لهجة كتبت لها السيادة لأسباب سياسية أو ثقافية أو دينية [١] .

أما العلم الثاني فيبحث في القيمة الفعلية لأي لغة من خلال توزيعها في مناطق مختلفة من العالم [٢] .

والدراسات التي تنضوي تحت هذين العلمين من أحدث الدراسات المعاصرة ، إذ تميل الى دراسة اللغة في حالتها الآنية ، باعتبار الكلام المنطوق في معظم الأحيان ، والموازنة تتم بين لهجات تلك اللغة .

---

[١] ينظر اللغة : ٣١٠ .
[٢] مدخل الى علم اللغة : ١٥٥ .
[٣] م. ن : ١٥٦ .
[١] ينظر مدخل الى علم اللغة : ١٥٥ .
[٢] ينظر م. ن : ١٥٦ .

العوامل المؤثرة في لهجة الفرد أو الجماعة :-

تتباين لهجات الناطقين في مجتمع لغوي واحد عن اللغة المكتوبة أو ما يسمى بـ (اللغة الفصحى) ، وتتماز بعضها من بعض بتخير الألفاظ واختلاف الأبنية .

وقد يكون ذلك التباين يسيراً نسبياً وقد لا يكون ، وهو في ذلك يعتمد على جملة من المؤثرات نلخصها بما يأتي :-

١- الازدواج اللغوي ، إذ إن أية لغة يوجد فيها مستوى أدبي عالٍ يخضع لقوانين لغوية ثابتة وعامة لا يمكن الخروج منها وتجاوزها ، ومستوى أقل صرامة في التعامل مع بنية اللغة والصيغ التركيبية والصرفية للجمل . والمستوى الأخير تتحكم به الجماعة اللغوية نفسها [٣] .

٢- اللغة كائن حي تتطور وتتغير بفعل تقادم الزمن ، وعليه هي عبارة عن سلسلة متلاحقة من المراحل يقود بعضها الى بعض ، وكل مرحلة تتكون من مجموعة من الظواهر المطردة القواعد ؛ إذ لا بد للغة من منطق ينتظمها . وتمثل تلك المراحل تطوراً لغوياً ينتابه أحياناً أمثلة شاذة عن تلك القواعد المطردة ، ويرجح سبب وجودها الى [١] :-

أ- قد تكون تلك الشواذ (أو اللهجات إذ المراد بالشاذ الخارج عن القاعدة المطردة أو اللهجة المخالفة للفصحى) . بقايا مرحلة قديمة أندرست وهو ما يسمى بالركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة .

ب- وقد يكون الشاذ بداية لمرحلة جديدة من مراحل الظاهرة اللغوية فتسود على ما قبلها من المراحل .

ج- وقد يكون الشاذ مستعاراً من نظام لغوي محاور وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على ذلك ، نحو قوله تعالى : ((فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ)) [٢] اليم : البحر ، بلغة توافق النبطية [٣] . وقوله تعالى : ((يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيم))[٤]. يس : أي الإنسان ، بلغة الحبشة [٥] .

---

[٣] ينظر خصائص اللغة العربية : ٣٠ .
[١] ينظر بحوث ومقالات في اللغة : ٥٧ .
[٢] سورة الذاريات : ٤٠ .
[٣] ينظر لغات القبائل : ٢٥٦ .
[٤] سورة يس : ١ .
[٥] ينظر لغات القبائل : ٢٣٠ .

٣- يشير علماء اللغات الى أن تفرع اللهجات وتنوعها في اللغة الواحدة قد يعود الى أسباب غير جغرافية كأن تكون عوامل بيولوجية ، إذ لا تعمل أعضاء النطق بطريقة واحدة في الظروف كلها ؛ لأن أي فرد من أفراد المجتمع له علاقات اجتماعية يتخذ النشاط اللغوي فيها دوراً رئيساً ، وبذا يصبح ذلك الفرد عضواً في حلقات لغوية متعددة ، يأخذ منها وتأخذ منه ، ويتأثر بها ويؤثر فيها ، وكلما اتسع مجال علاقته اتسع معجمه وتنوعت خصائصه التركيبية ، وربما كان الفرد ميالاً الى العزلة فتضيق دائرة اتصاله ، ومن ثم تقل حصيلته وتتقلص أشكاله اللغوية [١] . وإذا ما طبقنا هذه النظرية نستطيع أن نفسر سبب شيوع لهجة قريش وانتشارها والاعتماد عليها كلغة فصيحة ، فهي لهجة في مجتمع مفتوح قابل للاتصال مع مجتمعات أخر بفعل مكانة مكة الدينية والاقتصادية والاجتماعية ، لذا تسخى لها (أي لهذه اللهجة) أن تتسع تراكيبها ومفرداتها وتتنوع صيغها وأساليبها بفعل تخير الأفضل والأحسن ، بعكس أي لهجة أخرى ظلت مقتصرة الاستعمال إلا على المتكلمين بها .

الموقف من اللهجات :-

تدرس اللهجات على أساس الفصل بين ظاهرة لغوية في منطقة معينة وأخرى في منطقة ثانية ، ويكون ذلك بالاعتماد على خط يسمى بخط التوزيع isogloss ، وهذه الخطوط (أي خطوط التوزيع) كثيراً ما تتقاطع فيما بينها ، ويشير التقاطع الى اختلاف الأشكال اللغوية بين المناطق ، وقد تتماثل خطوط التوزيع الدالة على بعض الظواهر اللغوية ، مما يوضح أن كل لغة بلهجاتها المتعددة تحتوي على خصائص لغوية ذات خط توزيعي يتطابق أو لا مع خصائص أخرى مما يحدد اختلاف لهجة من لهجة أخرى في اللغة نفسها [١] .

وعلى الرغم من محاولة العلماء رسم معالم اللغة الأدبية بالاعتماد على علم الجغرافية اللغوية (أو علم اللهجات) فإن موقفهم في ذلك يتوزع بين :-

أ- رافض لوجود اللهجات ومنكر لها ومن هؤلاء ماريو بلي ، إذ يقول :- " إن كان من الممكن أن تصنف اللهجات الى وحدات كبيرة على أساس من سماتها العامة ، فإن البحث الدقيق قد أثبت أن مثل هذا التصنيف على الرغم من فائدته فأنه صنع الخيال الى درجة كبيرة " [٢] . إذ يرى أنصار هذا الرأي أن كل لهجة وجب دراستها بشكل مستقل

---

[١] ينظر مدخل الى علم اللغة : ١٦٠ .

[١] ينظر المدخل الى علم اللغة : ١٦١ .

[٢] أسس علم اللغة : ٦٩ .

وبما لا يقل أهمية عن دراسة اللغة الفصحى ، والفرق بين الاثنين يكمن في شيوع إحداهما وانحسار الثانية .

ب- مقر بوجود اللهجات على أساس توزيعها بحسب المناطق ، وتتجلى أهميتها في استخلاص المقدار المأخوذ من أي لهجة الى الفصحى ، وفي ذلك يقول مييه :- " من حقنا أن نتكلم عن وجود لهجات كلما رأينا عدداً كبيراً من الخطوط التي تفصل بين الخصائص ينطبق بعضها على بعض ولو بشكل تقريبي ، فهناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة ، وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فأنه يبقى أن كليهما تتميز في مجموعها ببعض السمات الخاصة التي لا توجد في الأخرى " [١] .

اللهجات العربية ونشأتها :-

المجتمع العربي الذي شغل شبه الجزيرة العربية يفرق بين مجموعتين كبيرتين من اللهجات : العربية الجنوبية والعربية الشمالية التي تتماز من الأولى بأنها لم تنفتح على الحضارة إلا في حقب متأخرة ، إن بدو الشمال قبل الرسالة لم يتخلصوا من تأثير جيرانهم فيهم ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد قامت في العصر الروماني والعصر الفارسي حكومات عربية ، يدلل عليها في العربية بكلمات آرامية [٢] .

لقد كان لعرب الجنوب وهم القحطانيون ولعرب الشمال وهم العدنانيون قبائل عدة تعرف في كتب الأنساب والتاريخ ، وربما الانفصال قد يشتد بين هؤلاء فينحسر عن ذلك نظام لغوي بعيد كل البعد عن نظيره الأخر . ولقد ظهر هذا في التباين بين لهجات الجنوبيين ولهجات الشماليين [٣] .

إن ازدهار اللغة العربية المتمثل بتطور الشعر المحلي لم يشارك فيه العرب كلهم، بل عرب وسط الحجاز ونجد وما حولها من البلاد فضلاً عن جهة الفرات ، ولم يسهم في ذلك لازدهار العرب الذين كانوا تحت حكم الرومان في سوريا إلا بالسماع فقط . وكان الشعراء في تلك الأمصار يستعملون لغة شعرية موحدة الى حد ما مع أنهم ينتمون الى قبائل مختلفة ، واستعمال مثل هذه اللغة في زمن لم يقيد فيه الشعر بالكتابة اعتماداً على ما يسمى بطبائع الشعوب . وتتماز اللغة الشعرية بالوفرة الهائلة في الصيغ ، إذ تدل طبيعة الجملة المركبة

---

[١] اللغة : ٣١٢ .

[٢] ينظر فقه اللغات السامية : ٢٨ .

[٣] ينظر العربية بين أمسها وحاضرها : ٥١ .

على تطور هائل كما في اللغات السامية الأخرى ، مع مفردات تفوق الحصر ؛ لأنها التهمت اللهجات المختلفة المحيطة بها [١] .

وفي عصور التدوين وتسجيل اللغة لم يعن اللغويون إلا بتحديد معالم اللغة الأدبية المتمثلة بلغة القرآن الكريم والشعر والخطابة مع الإشارة بين الحين والحين الى مقتطفات مبتورة عن تلك اللهجات العربية القديمة معزوة الى أصحابها مرة وغير معزوة أخرى ومختلطة بالفصحى ثالثة . مع أن المصادر القديمة والحديثة تتحدث عن خصائص هذه اللهجات مثل : فحفحة هذيل ، وعنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة وغير ذلك من الظواهر اللهجية [٢] .

لهجة قريش وموقف ابن جني منها :-

درس اللغويون العرب اللغة على أساس منهج وصفي يقوم على الاستقراء الناقص ويستند إليه ، وآليتهم في ذلك تقنيات ثلاثة :-

أ- القرآن الكريم .

ب- الشعر الجاهلي .

ج- كلام الأعراب .

ويختلف مستوى تأثير هذه التقنيات بعضها عن بعض ، الأمر الذي أثر في وصف العربية ، إذ نحت النظرية اللغوية عامة والنحوية خاصة الى معالجة هذه المصادر وكأنها متماثلة [١] .

أما القرآن الكريم فلم يحاولوا أن يطوعوا للفظه ونظمه القواعد والقوانين المصاغة، وإنما العكس إذ الكثير من الآيات خضعت للتأويل من حذف وزيادة وغير ذلك لأنها لا تنسجم مع ما ضبطوه من تلك القواعد .

وأما الشعر الجاهلي فهو في كثير من الأحيان يخضع لقوافي وأوزان قد تحدد البناء التركيبي له .

والمستجلى لكتاب سيبويه يرى إن القدامى قد عولوا كثيراً على القياس ، والأصول التي ظهرت فيه لم ترق الى مستوى الاستدلال العلمي ولم تكن واضحة التشخيص [٢] . ومع

---

[١] ينظر فقه اللغات السامية : ٢٩ .

[٢] ينظر بحوث ومقالات في اللغة : ٢٦٤ .

[١] ينظر مكانة العربية في الدراسات اللسانية الحديثة : ٣٨ .

[٢] ينظر منهج البحث النحوي عند الجرجاني : ٢١٦ .

هذا يبقى المأتي الوحيد الذي يمكن أن تؤتى منه جهود الأوائل والنفود الى عبقرية العربية . ويتضح أيضاً أن اللغويين لم يعنوا باللهجات عناية كافية ، بل قد أهملوها في بعض الأحيان ؛ لأنهم شغلوا باللغة الفصيحة وهي لغة طائفة معينة من العرب ، ووصل بهم الأمر الى وصف بعض اللغات بالرديئة ، ورديئة جداً ، وقليلة [3] ولم تكن مقاييس الجودة والرداءة علمية وأنما شيء اعتباري [4] .

جاء في الصاحبي :- " اجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أن قريشاً افصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختارهم فمنهم نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) فجعل قريشاً مكان حرمته وجيران بيته الحرام وولاته ... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى خلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب " [1] فهذا نص واضح الدلالة على استقراء ناقص قائم على لغة قبيلة قريش دون غيرها من اللغات وحجتهم في ذلك أنها :- " ارتفعت - أي لهجة قريش - عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكشكشة هوازن وتصجع قيس " [2] .

فالدارس يتحسس من النصين أن الأوائل تخيروا لهجة قريش لأن تكون اللغة الفصحى للأسباب الآتية :-

١- إن قريشاً كانت تتخير من غيرها الأفضل والأحسن لغوياً بفعل مكانة قريش الاجتماعية والاقتصادية والدينية .

٢- قريش أفصح اللهجات لأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) منها .

٣- ارتفاع لهجة قريش عن كثير من العيوب التي اكتنفت لهجات أخر .

وهم في ذلك كله متجاهلين ما روي عن ابن عباس من أنه قال :- " انزل القرآن على سبع لغات ، منها : خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف"[1].

---

[3] ينظر في سبيل المثال الكتاب : ١ / ١٦٤ ، ٢ / ٣٥٨ ، ٢٩٤ .

[4] ينظر العربية بين أمسها وحاضرها : ٥٣ .

[1] الصاحبي في فقه اللغة : ٢٣ .

[2] المزهر في علوم العربية : ١٢٨ .

[1] م. ن : ١٢٨ .

ومما لا شك فيه أن القراءات السبع أو العشر أو الشاذة مادة مهمة في الكشف عن شذرات مثمرة في تاريخ اللهجات [٢] .

ويبدو لي خير من عالج مسألة اللهجات ابن جني إذ عقد في كتابه الخصائص فصلاً اسماه (اختلاف اللغات وكلها حجة) وهو في هذا النص يعني باللغات (اللهجات) العربية المختلفة وينص على جواز الاحتجاج بها جميعاً ، وإن كانت خصائص بعضها أكثر شيوعاً من بعضها الآخر ، وهذا يظهر تفضيل لهجة قريش وتقديمها على غيرها . فهناك أذن تفاوت في تفضيل لهجة على أخرى ، مع جواز الاحتجاج بها جميعاً ، إذ يقول: " ... إلا أن انسانا لو استعملها لم يكن مخطئاً بكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ... فالناطق على قياس لغة من لغات العرب معيب غير مخطيء ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه " [٣] ، ويقول في موضع آخر :- " ... اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين فليس لك أن ترد أحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير أحداهما فتقويها على أختها ، ويعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها ، فأما رد أحداهما بالأخرى فلا ، أو لا ترى قول النبي : نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف " [٤] .

فأبن جني لا ينكر أي لهجة من لهجات العرب ويجعلها مقبولة كلها وحجة ، ولا يتعذر عليه أن يتصور اجتماع أكثر من لهجة في الكلام الفصيح طالما أن اللهجات عنده مقبولة وينصح بتأمل الفصيح من القول ، وعدم وصف اللهجات الأخرى بالشذوذ أو الضعيف ، إذ من يفعل ذلك لابد له أن يتسم بـ " ضعف النظر وقلة الفهم " [١] ؛ لأنها متساوية جميعاً في القوة والضعف " قد يتكلمون بما غيره عندهم أقوى منه ، وذلك لاستحقاقهم الأضعف ، إذ لولا ذلك لكان الأقوى أحق وأحرى " [٢] . وعلى هذا فلا ضير أن يقول الشخص الواحد في المسمى الواحد عدة لهجات ، مثل :-

---

[٢] ينظر العربية بين أمسها وحاضرها : ٥٧ .

[٣] الخصائص : ١ / ٤١١ .

[٤] م. ن : ٢ / ١٠ .

[١] م. ن : ١ / ٣٧٥ وما بعدها .

[٢] م. ن : ١ / ٣٧٧ .

رغوة اللبن ، ورغوته ، ورغوته ... فكلما كثرت الألفاظ الدالة على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات الجماعات اجتمعت لأنسان واحد من هنا وهناك (٣) .

وخلاصة القول : إن ابن جني يرى أن الخلاف بين اللهجات ليس خلافاً عميقاً إنما هو خلاف يسير يتناول الفروع لا الأصول .

واستئناساً بما رآه ابن جني في جواز الاحتجاج باللهجات ، وعلى الرغم من آراء علماء آخرين بالموضوع ذاته ، فإن المراجع اللغوية تضم بين دفتيها مالا يستهان به من خصائص تلك اللهجات اللغوية والتركيبية والصرفية تصلح لأن تكون مادة ضخمة في دراسات عدة وهو ما دأب عليه المحدثون في الكثير من البحوث . ومن تلك المعالجات اللغوية للهجات على سبيل المثال:-

تتبع ابن سلام للغات القبائل الواردة في القرآن الكريم تتبعاً معجمياً ، نحو قوله تعالى :- ((قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ)) السفيه : الجاهل بلغة كنانة (٢) .

وقوله تعالى :- ((فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ))(٣) . الرجز : العذاب بلغة طيء (٤) . وقوله تعالى :- ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً)) (٥) ،الوليجة : البطانة بلغة هذيل (٦) . وكقوله عز وجل : ((يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ)) (٧)، يبشرهم : بالتخفيف لغة كنانة ، بالتشديد لغة تميم (٨) .

ومن المعالجات اللغوية للهجات ما ورد في كتاب سيبويه : " وإذا زاد العدد واحداً فوق ثنتي عشرة فالحرف الأول بمنزلته حيث لم يتجاوز العدة ثلاثاً ، والآخر بمنزلته حيث كان بعد أحدى وثنتين وذلك قولك : ثلاث عشرة جاريةً ، وعشرة بلغة أهل الحجاز "(٩) .

---

(٣) ينظر م. ن : ١ / ٣٧٨ .
(٢) ينظر لغات القبائل : ٤٥ .
(٣) سورة البقرة : ٥٩ .
(٤) ينظر لغات القبائل : ٤٧ .
(٥) سورة التوبة : ١٦ .
(٦) ينظر لغات القبائل : ١٢٢ .
(٧) سورة التوبة : ٢١ .
(٨) ينظر لغات القبائل : ١٢٢ .
(٩) الكتاب : ٣ / ٥٥٧ - ٥٥٩ .

وفيه أيضاً : ومن قال : ((فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ)) [1] قال : أجائي موعظة، تذهب الهاء ها هنا كما تذهب التاء في الفعل ، وكان أبو عمرو يقرأ : (خاشعاً أبصارهم) [2] ثم أورد شواهده من الشعر لأبي ذؤيب الهذلي ، والفرزدق ، وأبي زبيد الطائي ، وآخر من بني أسد والكميت [3] .

ويبدو للمطلع على كتاب سيبويه أنه وقف موقفاً معتدلاً من بعض اللهجات ، وقد يوازن بينها أحياناً .

ومن الشواهد الأخرى على معالجات اللغويين للهجات ما جاء في قوله تعالى :- ((فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ))[4] . قرأ ابن مسعود هذه الآية : فشرذ بالذال وهي قراءة مأخوذة من لسان هذيل لتؤدي معنى : شرد [5] .

وأيضاً ما قيل عن الأفعال المعتلة :- " أن أصل قام : قوم فأبدلت الواو ألفا وكذلك باع : أصله : بيع ثم أبدلت الياء ألفاً ؛ لتحركها وأنفتاح ما قبلها ، وهو لعمري كذلك لأنك لم تقلب واحداً من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقالاً لحركته فصار الى : قوم وبيع " [6] وظلت هذه الظاهرة في قبيلة طيء ، إذ روي عنها أنها تقول : حبلى ، أفعى وما شابه ذلك في الوصل والوقف [7] . وروي عن هذيل عند إضافتهم ياء المتكلم في مثل : هداي وهوايَ فيقولون هدى : هدى + ي ، هوى : هوى + ي [1] .

وأما الأمثلة النحوية التي تحاكي لهجات خاصة فأكثر من أن تحصى نحو ما الحجازية ولغة (أكلوني البراغيث) وإخلاص الضم في الفعل الثلاثي المعتل العين عند بنائه للمجهول .

وهنا لا بد أن نذكر بأن بعض المحدثين حاولوا دراسة اللهجات الحديثة مفسرين الظواهر اللغوية فيها على أنها بقايا وامتداد للهجات قديمة نحو : كسر الياء في (فعيل)

---

(1) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(2) سورة العلم : ٤٣ .

(3) الكتاب : ٢ / ٤٣ – ٤٤ .

(4) سورة الأنفال : ٥٧ .

(5) ينظر المحتسب : ١ / ٢٨٠ .

(6) ينظر الخصائص : ٢ / ٤٧١ .

(7) ينظر الكتاب : ٢ / ٢٨٧ .

(1) ينظر معاني القرآن : ١ / ٨٧ .

كقولنا : كبير ، تطيف ، سمين مثل ما وجد عند قبيلة هذيل [٢] . وكسر حرف المضارع في الثلاثي نحو : يكتب – يدرس وهو ما اسماه القدامى بالتلتلة عند بهراء [٣] . واستعمال اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي على التمام ، أي : على وزن مفعول من غير إعلال يطرأ عليه ، نحو : معيوب ، مهيوب ، مبيوع . وهذا يعود للهجة تميم [٤] .

وإذا ما أردنا أن نحدد الاختلافات اللغوية بين اللهجات فيمكن أن نحصرها بـ :-

١- اختلافات صوتية في نطق بعض الحروف مثل : الجيم ، والدال ، والذال .
٢- اختلافات في النبر والنغمة الموسيقية والنظام المقطعي ، إذ تميل بعض اللهجات في العربية الى المقاطع المفتوحة وبعضها الأخر ينحو نحو المقاطع المغلقة .
٣- اختلافات في نطق أصوات اللين والحركات كما في الإمالة والتفتحيم والفتح .
٤- اختلافات في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، إذ يؤثر بعضها في بعض فتميل الى المماثلة أو المخالفة .
٥- قد يكون التباين والاختلاف في معاني بعض المفردات ، مثل : الهجرس : الثعلب في لهجة تميم ، وفي لهجة أهل الحجاز القرد .
٦- أما قواعد بناء الجملة فلا يطالها إلا القليل من التغيير .

هذه هي معظم الخلافات بين اللهجات العربية سواء ما اعتمد منها في اللغة الفصحى أم لم يعتمد ، وهي التي تعطي للهجة صفاتها الخاصة ضمن حدود اللغة ، إذ يبقى الخلاف بين اللهجات وفيها ضمن إطار القوانين التي تؤلف قواعد اللغة .

المصادر والمراجع :-

١- أسس علم اللغة ، ماريو بلي ، ترجمة : احمد مختار عمر ، منشورات جامعة طرابلس ، ١٩٧٣ .
٢- بحوث ومقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨
٣- التطور اللغوي التاريخي ، إبراهيم السامرائي ، معهد البحوث والدراسات ، ١٩٦٦ .
٤- الخصائص ، ابن جني ، ت : محمد علي النجار ، مط دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦.
٥- خصائص اللغة العربية ، محمد جابر الفياض ، مديرية مطبعة وزارة التربية ، بغداد، ١٩٧٤ .
٦- الصاحبي في فقه اللغة وسر العربية ، ابن فارس ، مطبعة المؤيد ، ١٣٢٨ .
٧- العربية تبين أمسها وحاضرها ، إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨ .

---

[٢] ينظر العربية بين أمسها وحاضرها : ٨٨ .

[٣] ينظر بحوث ومقالات في اللغة : ٢٦٥ .

[٤] ينظر م. ك : ٢٦٨ .

٨- فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، ج الرياض ، ١٩٧٧ .
٩- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيأة المصرية ، مصر ، ط٢ .
١٠- لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ، ابن سلام ، شرح وتعليق : عبد الحميد السيد طلب ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤ .
١١- اللغة ، قندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي - محمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠ .
١٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، ت : علي النجدي ناصيف وآخرون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦ .
١٣- مدخل الى علم اللغة ، محمد حسن عبد العزيز ، دار النمر للطباعة ، ١٩٨٣ .
١٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية .
١٥- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج : تحقيق : عبد الجليل عبده الشلبي ، بيروت ، ١٩٧٢ .
١٦- مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانيةالحديثة ، حمزة بن قبلان ، مجلة جمع اللغة العربية الأردني ، لسنة ٢١ ، ع٥٣ ، ١٩٩٧ .
١٧- منهج البحث النحوي عند الجرجاني ، محمد كاظم البكاء ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، ج بغداد ، ١٩٨١ .